

جناية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

- ٢١ -

— ❦ —

رأينا في المقال السالف مرقّتين من مرقّات الأستاذ أحمد «الأمين» كما كان يسميه أستاذنا الشيخ الراعي قبل أن تتكشف تلك المرقّات

والكشف عن مرقّات هذا الرجل الفضال لا يُبدؤ من الإيذاء حتى تقبل دعوة بعض الأصدقاء إلى مهادنته مراعاةً لأدب الصيام . فأحمد أمين نفسه بحكم منصبه في كلية الآداب يعرف أن الكشف عن مرقّات الشمرء والخطباء والكتّاب نوع من المراتة الذهنية ، وفنّ من فنون الأدب الرفيع

وأعترف بأن اهتمامي بكشف مرقّات أحمد أمين لا يخلو من شيطنة ، ولعله ضرب من المنافسة للدكتور طه حسين ، فالدكتور طه قد زعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهذه إليها ، وأنا أيضاً أزعّم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه وسأهديه إليها ، مع الفرق بين المهادنين

وأصرح بأن تشجيع القراء وحرصهم على أن تُجمع هذه المقالات في كتاب يرجع إليه من تهمهم معاودة النظر فيما شرحناه من الحقائق الأدبية ، ذلك التشجيع لا يهمني كثيراً وإن كان يدلني على بقطة القراء ورغبتهم في محاسبة الكتّاب والباحثين . وإنما أنتظر أن أتلقى كلمة نناء من الأستاذ أحمد أمين لأعرف أن الجليل في هذا البلد لا يضيع ، فهو يعرف جيداً أن قدمت إليه خدمة عظيمة حين دلتته على أن مصر لا تزال بخير ففيها رجال يحاسبون من كان في مثل منزلته من المتصدين لتدريس الأدب بكلية الآداب ، وهل يظن أصدقاؤنا بتلك الكلية أن حديقة

الأورمان من منطقة من مناطق المربّج ، وأنهم بمنجاة من أسنة الأقلام ؟ هيهات ، ثم هيهات !

ورجع إلى المرقّات فنقول :

شغل الأستاذ أحمد أمين نفسه بالنص على أن العرب في جاهليتهم لم تكن لهم وثنية تبذع الأساطير على نحو ما كان الحال عند اليونان ، وذلك بشهد بأن الجاهليين لم يكونوا من أهل الخيال

وقد ناقشنا هذا الرأي بمقال مفصل نكره تلخيصه اليوم لئلا نقع في الحديث المعاد ، فهل يعرف القراء من أين أخذ الأستاذ أحمد أمين هذا الرأي ؟ أخذه من قول الدكتور أحمد ضيف :

« وقد قال بعض المستشرقين مثل ريتان ومن جرى على مذهبه : إن العرب ككل الأمم السامية ليس لها أساطير في شعرها ولا في عقائدها ، وإن هذا يدل على ضيق الخيال لديهم : لأن الأساطير والخرافات إنما هي نتيجة سعة الخيال ، ونتيجة الحيرة والبحث وحب الاطلاع ... وكل ذلك يظهر أثره في بلاغات الأمم من نظم ونثر ، كما هي الحال عند الأمم الآرية كاليونان وغيرهم من الأمم الأوربية ، وقالوا سعة الخيال ، ولا يقصدون بالخيال ما تقصده نحن من المجاز والتشبيه ، وإنما يقصدون سعة الخيال في تصور الحقائق وفي إدراك الموضوعات المختلفة ، لأن أساطير اليونان كان مذهبها البحث عن الخالق وتصوره فلم ترشدهم عقولهم إلا إلى ضرب من الخرافات كتبوا عنها وألفوا فيها الأسفار ونصبوا لها التماثيل ، فاستدل الباحثون بذلك على قوة الذكاء وسعة الخيال وحب الجمال والافتنان فيه ، وربما كان هذا من الأسباب التي حملتهم على طول الكلام والميل إلى القصص في النثر والشعر ، لأن هذا النوع من البلاغة ليس إلا ضرباً من سعة الخيال في التصور والفكر والتعبير . ومن هنا يكون تعدد الأنواع في ضروب البلاغة نظماً ونثراً »^(١)

ذلك كلام الدكتور أحمد ضيف في محاضرات ألقاها بالجامعة

المصرية سنة ١٩١٨ ونشرها سنة ١٩٢١

فهل عرفتم من أين سرق الأستاذ أحمد أمين كلامه عن الفرق بين وثنية العرب ووثنية اليونان؟ هل عرفتم من أين سرق القول بأن الوثنية العربية لم تخلق التماثيل كما صنعت وثنية اليونان؟ هل عرفتم من أين انتهب القول بأن المجاز والتشبيه لا يدلان على سمة الخيال؟ هل عرفتم من أين اغتصب القول بأن الجاهليين لم تعدد عندهم ضروب البلاغة فلم يعرفوا الأفايص الشعرية والنثرية؟

إن الدكتور أحمد ضيف لم يبتكر هذا الكلام، ولكنه راعى الأمانة العلمية فذكر مصدره من كلام المستشرقين، أما الأستاذ أحمد أمين فقد انتهب ما نقله الدكتور أحمد ضيف عن المستشرقين ثم ادعى أنه من مبتكراته ودعا الناس إلى مناقشته في تلك «المبتكرات» !!

فهل عرف أنه جازف أقبح مجازفة حين دعا الباحثين إلى مناقشته وهو يظن أن لن يسمع منهم غير الحمد والثناء؟ وفَتَنُ القراء بقول الأستاذ أحمد أمين إن العربي الجاهلي وصف ما رآه، وهي فكرة بسيطة لا تحتاج إلى مقال مطول في مجلة أسبوعية، ولكنها مع ذلك مسروقة من قول الدكتور أحمد ضيف:

«كان العربي يصف في شعره ما يراه، ويتكلم عما يشمر به في نفسه من عواطف وفضائل، وقد تكلم وعبر عما يجول بخاطرهم بنفس الشجاعة والأقدام الذين كانوا في الحياة»^(١) فإن الذين كُتِبُوا بكلام الأستاذ أحمد أمين ليعرفوا أنه مسروق من كلام الدكتور أحمد ضيف؟

وهناك فرق بين العبارتين: فمبارة الدكتور ضيف سبقت بتعميل مقبول لوقوف العربي عند وصف ما يراه، أما أحمد أمين فانتصب الكلام حتى لا يلقبه بعض القراء إلى أنه يجدهج من سويق سواء!

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٥٢

وقال الأستاذ أحمد أمين إن بلاد العرب كانت في الأغلب جرداء فلم توح إليهم التفتن في وصف المناظر الطبيعية من رياض وبساتين، وجداول وأنهار، وجبال مكللة بالأشجار والأزهار فهل يعرف القراء أنه سرق هذه الفكرة من قول الدكتور أحمد ضيف:

«إن طبيعة بلاد العرب الجافة ذات الشكل الواحد لم تلهم العرب ولم توح إليه من أنواع الجمال غير جمال التمبر عما يجول بخاطرهم وإظهار عواطفهم إظهاراً ساذجاً. غاب عنه جمال الطبيعة من حقول وختائل ومن جبال ونلال مكللة بالأشجار والأزهار، وتَدَرَّ لديه جريان الماء وهدوء الجو، فلم ير إلا الصحراء المحرقة ذات الفضاء اللانهائي، والنخل للمصعد في السماء على شكل واحد فأثر ذلك في خياله وجعله لا يعرف التغير»^(٢)

قد تقولون إن هذه أفكار تمدُّ من البديهيات، فمن حق أحمد أمين أن ينقلها عن أحمد ضيف

وهذا حق، ولكن ما رأيكم فيمن ينقل البديهيات التي أعيدت مراراً على أنها من البِدْع المبتكر الطريف، ثم يقول وهو مزهوٌ غتال: هذه آراء نعرضها للبحث وندعو القراء إلى مناقشتها رغبةً في تخليص الأدب العربي من الأوهام والأضاليل؟

وأراد الأستاذ أحمد أمين أن يأتي بالأعاجيب فقرر أن العرب لم يعرفوا الشعر القصصي ولا الشعر التمثيلي، وهي فكرة بسيطة لا تحتاج إلى دعوى الابتكار والابتداع، ولكنها مع ذلك مسروقة من قول الدكتور أحمد ضيف: «الشعر القصصي والشعر التمثيلي بالمعنى المعروف الآن عند الأدباء في بلاغات الأمم الأخرى لا وجود له عند العرب»^(٣)

وما ادعينا ولا ادعى أحد أن العرب كان عندهم شعر قصصي وشعر تمثيلي حتى نحتاج إلى حذلقه أحمد أمين.

(١) ص ٥٣

(٢) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٤٩

العربي بضر أكثر مما ينفع ، وأن من واجبتنا أن نوازن بين أدبنا وبين الآداب الأجنبية ، وأن تترك أحكام النقل والتقليد ... وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« كل حكم مبنى على النقل أو التقليد لا قيمة له ، ولا يفيد شيئاً ولا يصح الاعتماد عليه ، فلا يصح أن نصدق قول من قال إن لغة العرب أحسن اللغات بدون أن نعرف شيئاً من اللغات الأجنبية ونوازن بينها وبين اللغة العربية . وإننا لنسيء إلى اللغة العربية وإلى الأدب العربي وإلى الأمة العربية أكثر من أن نحسن إليها بمثل هذه الأقوال التي لا يمكن أن يعتمد عليها إنسان مفكر ، كما أنها لا تحرك العقول ولا تحملاها على البحث »^(١)

ذلك كلام الدكتور أحمد ضيف الذي نقله الأستاذ أحمد أمين بدون أن يشير إليه ... وهل كان يظن أن في مصر من لا يزال يذكر كلاماً قيل في سنة ١٩١٨ ونشر في سنة ١٩٢١ ؟

وحدثكم الأستاذ أحمد أمين بأنه يجب أن ننظر إلى الأدب العربي القديم كما ننظر إلى الآثار المودعة في المتاحف ، وندرسه كما ندرس الآداب اليونانية واللاتينية ... وهذا هو كلام الدكتور ضيف إذ يقول :

« من هذه الوجهة يجب أن ننصب للغة العربية وآدابها كما ينصب الأوروبيون الآن للغة اللاتينية واليونانية لأنهما أصل معارفهم ومستودع سر مدنيتهن »^(٢)

وحدثكم أحمد أمين بأنه يجب أن يكون لنا أدب مصري يصور المجتمع عندنا ويحدثنا عن الزارع في حقله والتاجر في متجره والعالم بين تلاميذه وكتبه والعابد في معبده والمجن في مجونه ... وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« نريد أن تكون لنا آداب مصرية تمثل حالقتنا الاجتماعية ، وحركاتنا الفكرية ، والمصر الذي نميش فيه ، تمثل الزارع في حقله ، والتاجر في حانوته ، والأمير في قصره ، والعالم بين

وعاب صاحبنا على الناس أن يظنوا أن العرب عرفوا كل شيء ، ولا مهم على الاطمئنان المطلق إلى المؤلفات القديمة مع أنها على سعتها مشوشة تنافر بعض أجزائها مع بعض ، وعجب من أن يوجد قوم يأنفون من الخروج على الأدب القديم

وهذا الكلام « المبشك » مسروق من قول الدكتور أحمد ضيف في مطلع المحاضرة التي ألقاها بحضور الزعيم سعد زغلول في اليوم التاسع من نوفمبر سنة ١٩١٨ :

« دراسة الأدب العربي بالطرق المعروفة الآن لا تزال حديثة العهد . والأدب العربي على سعته وغناه مشوش مخنلط مرتبك لا يزال باقياً على حالته الأولى من البساطة والسذاجة في التأليف والجمع ، ولم تحرر بعد عقول أدبائنا من قيود الطرق القديمة والانتصار لها ، ولا يزال يمدُّ الخروج من القديم خروجاً عليه . ولا يزال نعتقد أن القدماء وصلوا إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه العقل البشري من الذكاء والإتقان ، وغير ذلك من ضروب الرضا والارتياح »^(٣)

ومن ذلك نزون أن الأستاذ أحمد أمين لم يكن من المبكرين حين أراد أن ينهكم إلى الغفلة التي شاعت منذ أزمان ، الغفلة التي توجب أن نجعل أن مصادر الأدب العربي تحتاج إلى تهذيب وترتيب ، والتي قضت أن تظل عقولنا في أسر الأدب القديم ، والتي أوهمتنا أن العرب لم يتركوا زيادةً لمستزيد ، وأنهم وصلوا إلى كل شيء ، وأن لفهم أحسن اللغات

قد تعتقدون عن الأستاذ أحمد أمين بأنه يحدث ناساً يعيشون في سنة ١٩٣٩ لا في سنة ١٩١٨ ، ولكن لا تؤاخذوني : فقد توهمت أننا نتقدم في الدراسات الأدبية من يوم إلى يوم ، وأن ما يُنشر في سنة ١٩١٨ لا يعاد بحروفه في سنة ١٩٣٩ خوفاً من أن يقال إن في أساتذة الجامعة المصرية من يرى الحديث المأد من الابتكرات

وحدثكم الأستاذ أحمد أمين أن الإعجاب المطلق بالأدب

إلى أن له آراء يسرقها أحمد أمين أو غير أحد أمين ، ولعله يتأذى حين يسمع أننا ننوه بذلك الآراء ونأخذ بتلايب من يسرقونها في وضوح النهار أو في ظلام الليل .

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

سترون في المقال المقبل سرقات جديدة من سرقات الأستاذ

النيل أحمد أمين !

وسترون أنه لن يرضن علينا بكلمة ثناء !

اللهم إني صائم ! اللهم إني صائم !

فاجمل إنطاري على زاد أفضل من كشف سرقات الأدباء

« لتحدث شجون » زكي مبارك

مجموعات الرسائل

تتبع مجموعات الرسالة مجلة بالأمان الآتية :

السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا كل من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة في مجلدين . والمجلد الأول من السنة السابعة .
وذلك هذا أجرة البريد وقدردنا خة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشا في الخارج من كل مجلد

تلاميذه وكتبه ، والشيخ في أهله ، والمابد في مسجده وصومنته ، والشاب في مجونه وغرامه . أي تريد أن تكون لنا شخصية في آدابنا . ولا تريد بذلك أن نهجر اللغة العربية وآدابها ، لأننا إن فعلنا ذلك أصبحنا بلا لغة وبلا أدب »

ومن هنا نعرفون كيف سرق أحمد أمين تلك « البشكرات » التي دعاكم إلى تقليبها على جميع الوجوه لتعرفوا ما في كلامه من الخطأ والصواب !

وحدثكم أحمد أمين بأنه يجب تحرير الشعر من القوافي والأوزان حتى يتسع لشرح مختلف المقاصد والأغراض . وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« إن بلاغة العرب محصورة أو تكاد تكون محصورة في الشعر ، والشعر لا يمثل حالة الاجتماع لضيق المجال فيه ، لأنه لا يسع جميع الأفكار ولا يحتمل إظهار الحقائق كما ينبغي ، لما فيه من القوانين التي يجب على الشاعر اتباعها ، وكثيراً ما تضطره إلى ذكر ما لا يلزم ، أو حذف ما يلزم ، ولأن الشعر رغم كل شيء مبنية الخيال والمبالغات ، والاستعارة والتشبيه والمجاز »^(١)

أما بعد فتلك مجموعة جديدة من سرقات أحمد أمين في الآراء التي عدّها من « البشكرات »

فهل أخذتم منها عبرة ؟

هي أولاً شاهد على أن في آدابنا من ينهب آراء معاصريه بلا ترفق ولا استبقاء

وهي ثانياً مظهر من مظاهر الاستخفاف بيقظة النقد الأدبي فلو كان الأستاذ أحمد أمين يعرف أن في مصر رجالاً يسايرون الحياة الأدبية مسابقة تمكنهم من رد كل كلام إلى مصادره الظاهرة والخفية لهيب عواقب السلط على آراء من سبقوه في القديم والحديث وهي ثالثاً دليل جديد على عدل فاطر الأرض والسماوات ، فالدكتور ضيف قد انسحب من ميدان الحياة الأدبية منذ أعوام طوال ، وهو يوغل في إثارة العزلة والانزواء ، ولا يكاد يلتفت

